لقاء

عماد حجاج نسير في حقل من الألغام

رسام كاريكاتير يقول كلمته

«يخشى رسام الكاريكاتير من أشكال الرقابة المتضخّمة اليوم»، يقول حجاج مستذكراً في حديثه الى «العربي الجديد» ان «الامور ربما كانت اسهل في الماضي، حيث كان الرسام يعرف من هو الرقيب بينما لا يستطيع تحديده اليوم، فهو إنسان يعرفك وانت لا تعرفه»

عمّان ـ **محمود منير**

«منذ اعتقالي مساء الأربعاء الماضي، ومشاهد سوريالية عدّة تتراءى في مخيّلتي»، بهذه العبارة يصف فنّان الكاريكاتير الأردني الفلسطيني عماد حجاج (1967) الأيام الخمسة التي قضاها في السجن في حديثه إلى «العربي الجديد». ورغم أنه مثل أمام المدّعي العام بسبب رسومات سابقة في حياته المهنية، إلا أنه يؤكّد أنه عاش لحظة عصبية وقاسية عليه كفنان، وهو الذي لم يدخل مركز شرطة قط، مشيراً إلى أن من هوّنها عليه هم بعض الناس الذين ساعدوه وتضامنوا معه داخل السجن حين كانوا يتعرّفون إلى شخصيته؛ بعضهم يبتسم ثم تبدو عليه ملامح الحزن، لأن «أبو محجوب» (شخصية كرتونية خيالية ابتدعها حجاج) فقد حريته.

يضيف: «كنت أفكر في عائلتي وحياتي، وفي أن التهمة الموجّهة إليّ ليست بسيطة أمام محكمة أمن الدولة، وخاصة أن المحامي كان متشائماً، ولم يرد تجميل الصورة، داعياً أن أحضّر نفسي للأسوأ. زارتني زوجتي وألمحت لي إلى أن هناك تضامناً معي، لكن دون أن توضّح شيئاً. كنت شبه معزول عن العالم الخارجي، إذ لم تكن هناك أيّة وسيلة تواصل متاحة، لكن أخبرني بعض السجانين همساً في أذني، أن هناك حملة تضامن كبيرة ضدّ توقيفي، أو أن إعلامياً بعينه أبدى تأييده لحريتي، إلى جانب بعض السجناء الجدد الذين كانوا يصفون لي الأحوال في الخارج، فبدأت معنوياتي ترتفع واحسّ بتعاطف الناس دون أن أشاهده أو أسمعه».

يروي حجاج تفاصيل الليلة الأولى في السجن، قائلاً: «وصلت متأخراً بعد أن مثلت أمام المدعي العام العسكري، الذي أصدر حكماً بتوقيفي لأسبوعين على ذمة التحقيق. دخلت الزنزانة وكان فيها ثلاثة أشخاص، والكلّ صامت ومتبادل النظرات. أحدهم حدّق فيّ وسأل: أنت الرسام؟ وكان يعمل في أحد مكاتب توزيع الصحف المحلية. تودّد إليّ وتعارفنا أكثر. كنت مصدوماً، وأغلي من داخلي وغير مستوعب أنني سجنت. وأستدعيت من الذاكرة صورةَ طفلي كريم الذي لا ينام إلا في حضني، وأننا في هذه الليلة قد حُرمنا من بعضنا، فشعرت بحنق وغضب شديدين، وأن ما يحدث معي كفنان غير عادل مطلقاً».

يتابع: «أبو محجوب كان يشعر باسى كبير يوم اعتقالي، ولم يتوقّع أن يكون يوماً في السجن. كان يعتقد أنه الأقرب إلى الناس، وزملائي الرسامون لمسوا مشاعري حين رسموا أبو محجوب خلف القضبان، بينما مساحته الحقيقية مع جمهوره، وفي الشارع، يتنفّس حرية».

هل يُعتقل الفنان من أجل رسمة عام 2020؟ يردّ حجاج: «منذهش مثلك بأن رسم الكاريكاتير لا يزال مهنة خطرة تشبه المشتغلين بخطوط الضغط العالي (الكابلات الكهربائية)، وهذا مؤسف. أنا كرسام عربي لي علاقات جيّدة مع رسامي كاريكاتير في الغرب الذي يعيشون قيامة جديدة ونهضة، حيث عادت رسوماتهم تتصدّر الصحف والمواقع الإلكترونية ويناقلون مكانة كبيرة، خلافاً للعالم العربي حيث تضيق المساحات أمام رسامي الكاريكاتير في الصحف، والمهنة تحيا أوضاعاً صعبة، ويواجه أصحابها قيوداً كثيرة، وباتت هناك أشكال مستجدّة من الرقابة».

حجّاج بريشة عبد الغني الدهدوه

يتابع: «في التسعينيات، كان الرسام يعاني من رقيب المطبوعات، بينما بات اليوم في عصر «السوشال ميديا»، ورغم السقوف الجديدة التي تُتاح له، إلا أن ثالوث التحريم؛ السياسي والديني والجنسي، يحط بثقله فوق لوحة الفنانين العرب، ورقابة المتابعين والمعلّقين على المحتوى الكاريكاتوري لها جانب معتم ومظلم، وهناك جنود مجنّدون من ذباب إلكتروني معنيّون بتشويه مقصد الفنان، وتشويه الفنان نفسه ومحاربته، ولا يزال رسام الكاريكاتير يحاول حجز مكان لرسمه في هذا الفضاء المشتعل».

ما اتمناه ان ابقى كما انا دون ان يعاملني احدهم كمجرم

لقد تعلّمت من الناس وانا اشاهدهم في ساحات الاحتجاج

الذي اعتمد في أكثر من بلد عربي، وهناك تهمة إضافية، هي تعكير صفو العلاقة مع دول عربية. صدقاً، ليس سهلاً أن تقارن بين رقابتين في زمنين، فقد واجه رسام الكاريكاتير العربي سابقاً القمع والتعذيب والسجن، وكان يحصل ما هو أسوأ. لكننا كرسامين اليوم نسير في حقل من الألغام».

يصمت حجاج قليلاً متأملاً المشهد بأكمله، ويقول لـ«العربي الجديد»: «هناك حقيقة بأن فنّ الكاريكاتير يزدهر في أجواء قمع الحريات، وهذه مفارقة، إذ إن الكاريكاتير مزدهر في الغرب، كما أسلفنا، لكن أهمّ الرسّامين في العالم هم من أميركا اللاتينية وإيران وتركيا وبلدان أخرى من العالم الثالث».

ماذا يخطر ببالك بعد الإفراج عنك بكفالة حيث ستمثل أمام القضاء المدني قريباً؟ سؤال لا يبدو مفاجئاً، وتأتي إجابته بعفوية: «لا أريد أن أسوق مثاليات والعب دور البطولة. منذ إطلاق حريتي، وأنا أراجع نفسي وأراجع الرسمة موضع الخلاف، واللحظة التي رسمت فيها هذه الرسمة، ويساورني أحياناً الندم. أصابتني هزّات عديدة في حياتي المهنية، ففي نهاية التسعينيات وأنا في عزّ شهرتي، أرسلتني إحدى رسوماتي إلى الشارع، بلا دخل ولا عمل، وقد أجريت حينها محاكمة لما حدث معي، وقلت لنفسي إنني لعبت دور دون كيشوت، وقرّرت بعدها أن أرسم أموراً عادية، وابتعد عن السياسة ومشاكلها، لكن حين تأسّست جريدة أردنية مطلع الألفية الثالثة والتحقت بها، استعدت نفسي وجراتي وبدأت أصرخ بالكاريكتير. ربما ننحني للريح، ولكن لا ننكسر، كان من الممكن هذه المرّة أن أسجن لفترة طويلة، في زمن باتت البلدان العربية تقتدي بدونالد ترامب في عدائه للصحافة. وهذا ما يجعل الناس تخاف من سلطاتها، وأنا منهم، لكن هناك دائماً رسام كاريكاتير يقول كلمته أيضاً».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

خلاصة قاسية

يصل حجّاج الى خلاصة قاسية بتوقيفه موّخرا بسبب رسم، ويعبّر عنها بقوله: «منذ حوالي ثلاثين سنة اعمل في هذه المهنة، وكنت اعتقد انني فاهم «السيستم»، واعرف «الحافة» واسير عليها، واظن نفسي كذلك، وطلعت مثل فاهم السيستم ولا يعرفه، وهذا كان صادما لي. ما اتمناه ان ابقى كما انا دون ان يعاملني احدهم كمجرم...انا رسام كاريكاتير يحاول ان يقدّم فنا يعبّر الواقع».

إضاءة

قراءات البحر قطعة ناقصة في الثقافة العربية

مياه زرقاء وأدب أبيض

تنشط في فرنسا حيوية ادبية مر تبطة بفصل الصيف؛ حيث تصدُر اعمال تُحقّق المتعة ولا تتطلّب تفكيراً و تأمُّلاً، وبعضها لا يخلو من اصالة وابداع

نجم الدين خلف الله

مع مَقْدَم الصَّيف وحُلول الإجازات، ينشَط هنا في فرنسا مسارٌ مُختلفٌ من القراءة، يتركّزُ على الروايات البوليسيّة والقصص التاريخيّة والنصوص ذات الحبكة الخفيفة والبناء المشوّق، تكون فيها اللغةُ سهلةً، تتجنّب الوسائلَ الأسلوبيّة والهياكل السرديّة المُعقّدة. فمن أمثلة ذلك، يُسجَّل إقبالٌ على كتُب جُوال ديكر مثل «اختفاء ستيفاني مايكر» وروايته الجديدة: «سرُّ الغرفة 622»، وكتابات غيوم موسو، خاصّة الأخيرة: «الحياة رواية»، وكذلك خاتمة ثلاثيّة سوزان كوليتز، «جولة الثعبان والعُصفور الحادي». وأما عشّاق الروايات البوليسيّة فيبادرون إلى «كان يا ما كان، مرّتان»، لفرنك تيليز، من دون أن ننسى كتاب دومينيك مساكي: «اللواتي لا يفترقنَ أبدًا».

والملاحَظ أنّ بعض هذه الأعمال يَقترن بمتخيَّل الشرق القديم أو عصور الاستشراق الأولى وبأجواء الجريمة المنظّمة في البلدان البعيدة، كما يستلهم المستقبل ومآل البشريّة، وقد يستوحي بعضُ الأحداث التاريخيّة الكبرى ويُضيف إليها لُمَعًا من الغموض والإلغاز، وهو ما يستسيغه الجمهور حينَ تُحدثُ لديه متعة خفيفة تتناسب مع حالة الفراغ الذهني أثناء العُطل.

تندرج مثل هذه العناوين ضمنَ ما يُمكن أن نُصطلح عليه «الأدب الأبيض»، الذي يُقابل «الأدب المُلتزم»، بما هو خِطاب غير عابئ بالهمّ الإيديولوجيّ الصريح؛ إذ ينشأ ما يُشبه العَقدَ الضمنيّ بين قرّاء البَحر وكُتّابه ونُقّاده، تُرسّخهُ الوسائط الإعلاميّة، وهو ما يحدو ببعض الروائيّين إلى تمثّل تلك المعايير ثمّ إنتاج نصوص على ضوئها، غالبها من جنس الرّواية، لأنها الأقرب إلى تجسيد هذا البناء التشويقي.

كما تَلعب المكتبات الصغيرة دورًا مُهمًا في ترشيح العناوين والتشجيع عليها، فيَتابع أصحابها، بدءًا من الشهر الخامس من كلّ سنة، ما يصدر منها لينصحوا به رُوّادهم المعتادين. وهكذا، تُخلق حيويّة ثقافية خاصّة بفصل الصّيف، بين كُتّابٍ يكتفون نُصوصهم حسب آفاق انتظار قارئيهم، وبين حركة نقديّة لا تغالط في القيمة الفنّيّة لمثل هذه الأعمال وتقدّمها بوصفها «أدبًا أبيض»، لا يتطلّب عناءَ التفكير ولا عمقَ التأمّل، وإنما يحقّق المتعة السريعة التي تخلقها أجواءُ الغموض، وإن لم يخلُ بعض الأعمال من أصالة وإبداع.

ولا يسع المتابعَ إلا أن يلحظَ غياب حركة أدبيّة- نقديّة مُشابهة في العالم العربي، رغم امتداد الشطآن والسواحل على حدوده، فلا يقترن البحرُ، في تقاليدنا، بنَشاط القراءة، هذه الممارسة التي غالبًا ما ترتبط بالجدّ، بل إنها لا تنشط بالقَدر الكافي حتى في سائر فصول السنة.

وباستثناء أعمال نجيب محفوظ وحنا مينا وبعض الكتّاب القلائل، لن نجد الكثير من الكتّاب العرب الذين نجحوا في معادلة توفير نصوص تجمع بين سهولة التناول والمستوى الأدبيّ الراقي مع جمالية التشويق، وكيف لهم أن ينتجوها ولا نجد أصواتًا نقدية تدعو إلى مثل هذه المزاوجات في كتابة الأدب وربطها بتحوّلات الحياة اليومية؟ ومتى كان الكاتب في ثقافتنا منتبهًا إلى حاجة القراء الماسّة لمثل هذه النصوص ومطالبات دور النّشر ومقتضيات أسواق التوزيع؟

ذلك أنّ النّصوص العربية المتاحة في الأسواق، ورغم وفرتها، تظلّ منشدّة إلى الإشكاليات الكبرى للمجتمعات العربية-الإسلامية، كالقمع السياسي واغتراب الجسد والعُقَد النفسية وتأثير الدين... في حين أنّ الصيف يقتضي سردًا مُخفّفًا يتناسب مع هدوء أمواجه. ولنا أن نتساءل عن إمكانية أن نقرأ، مثلاً، على شواطئنا أيّا من روايات الأعوام الأخيرة، وكلّما أمسك بها القارئ إلّا وجذبته إلى عوالم من السوداوية والعُنف والحيرة، وهو ما يَدفع إلى تشجيع إبداع خاصّ بالترفيه وقراءات تملأ فترات الخمول، وهذه الفترات ضرورية لتجديد شهيّة القارئ للأعمال الدّسمة. ولم لا يقع التنظير لها حتى تخلق تيّارًا صريحًا للاستهلاك تكون فيه الأكوان الرمزية للأدب الأبيض متلائمة مع جمالية هذا «الأزرق البهي»، المحيط بجلّ السواحل العربية؟

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في فرنسا)

تطغى السوداوية والعُنف والحيرة على الرواية العربية

فارنة على شاطئ بلدة بياريتز الفرنسية (Getty)

قصيدة

قبلَ أن تتبخّر إلى أعلى من جديد

في مركز المياه

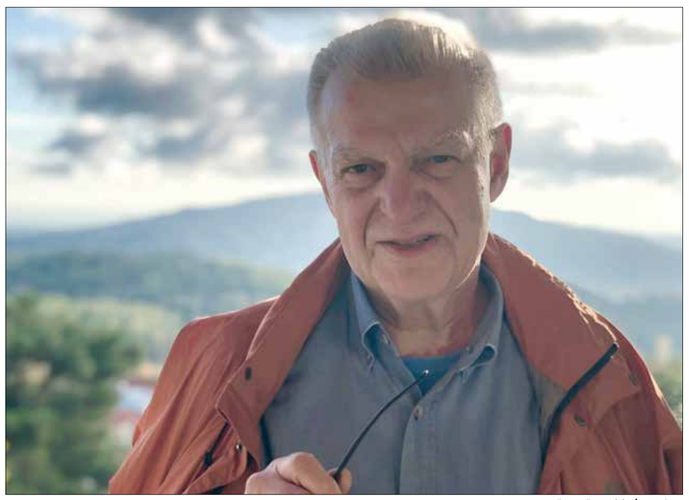
يورغوس شولياريس (العربي الجديد)

يورغوس شولياريس

في مركزه كلُّ شيء مياه
هكذا كنت تقولين ليلتذاك، لو تذكّرين
بينما - بفعل النار - يَخفُتُ الضوء على
أظافرٍ رَطْبةٍ
ببطء تنزع القشرةَ الجافّةَ عن البرتقالة
قبل الغوْص في غضاضتها الصفراء

أيّ امْرأةٍ أو هذا الوَلَد، الفاكهة - كلُّ شيء
في هذا العالم مَصنوعٌ من مياه
تَغلي بلا اكتراث أو في صمتٍ داخله
وأحياناً بتراخٍ تَطفح عَرَقاً
لتروي عَطشَ مخلوقاتها
قبل أن تتبخّر إلى أعلى من جَديد

اسمُ سطح المياه هو الأرض
وَطنُها سحابُ المنطقة الداخليّة
التي لا يُمكنُ اختراقُها من الهواء
النيرانُ تنطفئُ على كتفِها
وهي تُرمش، هكذا أظنُّكِ كنت تقولينَ
مع تحديقةٍ مُشتعِلة هي النهاية

أنا خائفٌ، هكذا كنتُ قلتُ قبْلَ أن تتكلّمي،
من أنّ يطولكِ شرُّ ما احملُه
بايدٍ لا تقاوم البَرْد
حين تَتجمّد أفكاري
والريحُ تَحرق الوَجْه السارحَ وراءها
وقد هُجّرتِ الحفْر البارز للغُبار

نهضتِ إذّاك لا لتشعلي النار
ولكنْ لتَحضري لي بعضَ المياه
دونما أن أطلب منكِ ذلك
تَدْعينَها تَسري لبَعض الوقت
قُربَ قَلبي التَرْسُبات السائلة
حيثُ القُطراتُ الثمينة تَبرُقُ على الزجاج

لقد حاولتُ مرّاتٍ أن أتذكّر
ما قلتِه بالضَّبْط ليلتذاك
ولماذا، وأنا لم أنسَها ولكنّ لا أذْكُرُها،
أراحتْني كلماتُكِ بشفافيّتِها المتكسّرة
وكانت تَسري ناعِمةً عليّ
أينما سالتْ

أعرف أنّني حين أعودُ إلى البيت مُثقلاً
انْزَعُ الثيابَ الجافّة عني الآن
وادعُ المياهَ تسري عاريةً على جسدي
فأصير كأنّي اتحمّم بالضّوْء
في حمّام مُظلم لو وَلَجه ضوءٌ
أغمِضُ عينيّ

لا تخفْ، قلتِ. لو لم يكن هذا الحب
كما تعتقد شيئاً صُلباً من الأرض
بل قلعةَ رمالٍ تَغرق
ببنما تُبرد سفينةٌ تمخر الأعماقَ
بأمواجٍ إلى الشاطئ
تَزِنُ الأطفال بالملح

سيولةُ المَخلوق
من أجل أن ينسابَ على مُنحدراتِ الجَسَد
وتسعُه أنية الروح
قبل أن ترتدّ المياهُ مياهاً
قبل أن تَكتشفَ نهايتَها في المركز
قبل أن تتمرْكز

لا شيء يستطيع الاختباء في المياه

فعليها يَهبط النّقشُ الذي يَطبَع
الكوْنَ وقبلَ أن يذوب
تَهزّ سطحَه الجامد
لتُعيد تكوينَ الظِلال
في ذاكرة المياه - هل تذكرين؟ -
لكلّ لحْظةٍ ينْساها أحدنا

طهّري كلماتك وإن لم تفعلي
مع كلماتي
على صوتِ الصّنبور أو الشّلال
ما يَجلب المياه من مركز المياه
وهي في أصْلها إلى أبعدَ عُمق
حتى تأتي لحظة
تكون حوْطتنا جميعاً

لا حاجةَ لتَذَكُّر كلماتي بِدِقّة
أطلقيها ولكن
لا تُطلّقيني.

(Yiorgos Chouliaras شاعر يوناني من مواليد ثيسالونيكي عام 1951 ويعتبر من أبرز الأسماء الشعرية في بلده اليوم. ترجمة: يوسف رخا)

شذرات

افضى بنا عزل الظواهر عن بعضها، ودراستُها مفصولة، الى ان تنتهي بنا كل دراسة الى زاوية ضيّقة تُصدر منها احكاما مُصطنعة تزيدنا حيرة وارباكا.

نازك الملائكة ـ «التجزيئية في المجتمع العربي»

ما بين يدينا هو تاريخ للفكر تغيب فيه ثلاث قارات. لكن حضور ما جرى تغييبُه الى اليوم لا يتم إلا بشرطين: الاول هو قبول مجتمع المعرفة الغربي بوجود فكر خارج اللغات الاوروبية يستحق هذا الاسم، والثاني هو قدرة الانتلجنسيا المحلية في المستعمرات السابقة على تقديم إنتاج فكري يجابه كل محاولة لإنكاره.

انور عبد الملك ـ من مقدّمة «الفكر السياسي العربي المعاصر»

صحيح بأن المدرسة مؤسّسة ضرورية في المجتمع، وهي تقوم بدور مهم للغاية. لكن علينا ان نتذكّر دائما ان المدرسة لا تقدّم إلا القليل جداً مما ينبغي ان نتعلّمه من اجل الحياة.

اوسكار وايلد ـ من كتاب «أقوال» جمعها دومينيك جان

الحياة هي هذا كلّه؛ هي الصراع والكيد والحكمة والجمال، فاي وجه تتجاهله من وجوهها تفقد به فرصة لاستكمال فهمك لها وقدرتك على التأثير فيها بما يوجّهها نحو الاحسن.

نجيب محفوظ ـ من رواية «قصر الشوق»